Revue des: مشكلات الترجمة في الألسنية / لطيف زيتوني. — في lettres et de traduction. — N’ 1 (1995), ص. ٥٥-٨١.

I. Traduction II. Traducteurs — Egypte III. Egypte — Civilisation

PER L1037 / FL70584P

مشكلات الترجمة في الألسنية

الدكتور لطيف زيتوني
الجامعة اللبنانية

أ- تمهيد

رافقت الترجمة منذ أقدم العصور نموّ الجماعات البشرية. إذ لم تنمُ هذه الجماعات نمواً منعزلاً بل جمعت بينها على مرّ التاريخ صلاتٌ مختلفةٌ من حربٍ وصلح وتجارةٍ ومخالطة. وإزاء اختلاف هذه الجماعات في اللغة كان لا بدّ من وجود مزدوجي اللغة لتأمين التفاهم، وتوطيده. وقد حفظ لنا التاريخ نصّ معاهدةٍ معقودةٍ منذ ثلاثة آلاف سنةٍ بين المصريين والحثيين باللغتين المصرية، والحثية[١]. كما دلّنا على وجود مترجمين في بلاط الفراعنة كانوا يتوارثون هذا العمل ويحملون لقب أمير[٢].

١ Georges MOUNIN, "Traduction", dans Encyclopaedia Universalis, V. 16, 1968, p. 232.

٢ Ibidem p. 232 .

ومع أنّه وجدت عبر الزمن مدارسُ لتدريب المترجمين، إلا أنّها كانت تعلّم الترجمة كنشاطٍ عملي فلم تخرج من هذا التعليم نظريةٌ في الترجمة أو دراسةٌ على الاقل للمسائل التي يثيرها البحث عن مثل هذه النظرية[٣]. كذلك لم نجد لدى الفلاسفة عناية بهذا الموضوع مع أنه جديرٌ بأن يستلفتهم كوسيلة لمعالجة مسألة العلاقة بين اللغة والفكر[٤].

وقد دوّن عددٌ من المترجمين في كثير من اللغات ملاحظاتٍ أو أفكاراً تتعلق بعملية الترجمة. ومن هؤلاء لبنانيون عرضنا مذاهبهم وناقشناها في كتابنا «حركة الترجمة في عصر النهضة»[٥]. لكن هذه الملاحظات والافكار كانت ذات منحىً تطبيقيٍ وتصح غالباً على لغةٍ بعينها هي اللغة المنقول اليها. أما التوغل في جوهر عملية الترجمة، والوقوف على سره، واكتشاف الثوابت التي تتعدّى اللسان المعين إلى اللغة كظاهرةٍ إنسانيةٍ مشتركةٍ، والتأمل في كيفية حصول الاتصال بين الشعوب رغم اختلاف الالسن واختلاف الحضارات واختلاف النظر إلى الكون، فلم يحاوله أحد. وقد كان منتظراً من الفلاسفة أن يباشروه، ويرسموا إطاره، فيدفعوا سواهم ممّن يعنيهم الامر إلى متابعة البحث، كل في

٣ Georges MOUNIN, Les Problèmes théoriques de la traduction, p. 11.

٤ Id., "Traduction", Encyclopaedia Universalis, p. 232.

٥ صدر عن دار النهار للنشر ١٩٩٤، انظر الفصل الثاني منه.

نطاقه. لكن الفلاسفة لم يفعلوا ولا حمل سواهم عنهم هذا العبء. وقد نجد للجميع بعض العذر. فالترجمة، في الشرق كما في الغرب، بدأت دينيةً أي تناولت ما يتّصل بالدين والمباحث الدينية. فكان النشاط محصوراً، والنتاج قليلاً، ولا بدّ لكل نظرية من محفّزات ثقافية واجتماعية يخلقها اهتمام الكتّاب والمجتمع بموضوعها إنتاجاً وتحليلاً ونقداً.

هذا الإهتمام بدأ يتبلور ويزداد في مطلع الخمسينات بتأثير جملة عوامل:

أولاً، الحاجة إلى حل مشكلة وجود لغتين أساسيتين رسميتين في كندا مع ما يعنيه ذلك من وجوب تساوي القوانين والقرارات في اللغتين من حيث القيمة التشريعية. وقد حملت هذه الحاجة حكومة كندا على إنشاء مكتب المترجمين الحكومي الذي يضمّ اليوم نحو ألف اختصاصيّ من المستوى الرفيع[٦].

ثانيا، إستعانة «جمعية الكتاب المقدّس» في الولايات المتحدة بعددٍ من علماء الالسنية، على رأسهم أوجين نيدا Eugène Nida للاشراف على

٦ المرجع السابق، ص 232.

الترجمة[٧].

ثالثا، سعي علماء الرياضيات والمهندسين وعلماء المنطق إلى تحويل الحاسبات الإلكترونية إلى آلات ترجمة[٨]. ويضاف إلى هذه العوامل ذات التأثير المباشر عوامل أخرى منها تداخل الثقافات، وتزايد الاسفار والتبادل العالمي، وإنشاء المنظمات الدولية، وانتشار المؤتمرات والمجلات المتعددة اللغات، والعناية بالآداب الاجنبية، واختراع وسائل نشر جديدة كالإذاعة والسينما[٩].

لقد بقيت الترجمة إلى عهدٍ قريبٍ تعتبر وجهاً من وجوه الكتابة الالسنية. فلم ينظر إليها كعلم أو كفن أو كنشاطٍ خاص مستقل. لذا لم تحظ باهتمام الكتّاب والادباء. ولم تلفت أنظار الباحثين والعلماء. وأظن أن من نظر فيها ساواها بالكتابة الإدارية من حيث إن هذه لا تعبّر عن فكر صاحبها أو فنّه بل تجري على طريق مرسومة موطّأة. يعبّر الاديب عن فكره والعالم عن علمه، ويعبّر المترجم عن فكر سواه وعلم سواه، فلا يحتاج إلا إلى معرفة اللغتين المنقول

---

٧ المرجع نفسه، ص 232.

٨ Georges MOUNIN, "Traduction", dans **la Linguistique,** sous la direction d'André MARTINET, p. 375.

٩ Jules MAROUZEAU, "La Traduction", Cahiers de l'Association Internationale des Etudes Françaises, N° 8, Juin, 1956, p. 147.

منها والمنقول إليها. وهذه المعرفة متيسرة في كتب اللغة والادب بكل لسان. لهذا لم يرافق القرّاء والنقّاد مراحل العملية التي ينتقل بها النصّ بكلماته ومعانيه وظلال معانيه وأسلوبه من لغة إلى لغة. فنادراً ما ينظر القرّاء إلى الترجمة والاصل معاً بل ينظرون إلى النصّ بعد استقراره في لغته الجديدة. فإن كان مستوياً واضحاً جروا في قراءته كحالهم في النصوص الموضوعة بهذه اللغة ابتداء، وإن استوقفهم فيه بعض التعقيد والغموض حكموا على المترجم بالضعف ونسبوا إليه ما وجدوا في النص من عيوب.

والواقع أن المترجم «لا يترجم للفهم بل للإفهام. فالمسألة بالنسبة إليه ليست اكتشاف معنى يجهله بل اكتشاف وسيلة التعبير عن هذا المعنى في لغته الام»[١٠]. فغاية الترجمة هي أن تعفينا من قراءة الاصل، وشأنها أن تجعل النص الموضوع يبقى إيّاه بعد ترجمته. وهذه المسألة، مسألة وحدة هوية النصّ في اللغتين، هي التي تشكل الصعوبة الاساسية في طريق نظرية الترجمة[١١].

---

١٠ Jean-Paul VINAY : "La Traduction humaine", dans **le Langage,** p. 729.

١١ Jean-René LADMIRAL, "Traduction", dans **la Grande Encyclopédie Larousse,** V. 19, 1976, p. 12066.

إن طرح الموضوع بهذا الشكل يثير مسألة علاقة الفكر باللغة. فإذا كان الفكر مستقلاً عن اللغة، فالترجمة ممكنةٌ ولا تثير سوى صعوبات لغوية. وقد كانت «الالسنية الاميركية أوّل من حقّق هذا الربط بين الالسنية والترجمة على الصعيد النظري»[١٢]. وقد عزّزته وأوضحت مسائله عن طريق جمع عدد كبير من الامثلة المختلفة المستقاة من اللغات الافريقية ولغات الهنود الاميركيين[١٣]. أمّا السوفيات فشدّدوا مع فيدوروف Federov على اختلاف متطلبات الترجمة باختلاف الميادين التي تمارس فيها[١٤]. لكنّ منطلق فيدوروف الالسني كان واضحاً : فحين عزل عملية الترجمة من أجل دراستها دراسة علمية اعتبرها عملية لغوية بالدرجة الاولى واعتبر أنّ كلّ نظرية في الترجمة يجب أن تدرج في عداد المواد الالسنية[١٥]. ونجد ما يماثل هذا الموقف في التجربة الكندية لدى فيناي ودربلنيه Vinay & Darbelnet اللذين دَعَوا إلى إدراج الترجمة في إطار الالسنية، وتطبيق طرق التحليل الالسني عليها[١٦]. هذه الدعوة إلى اعتبار دراسة الترجمة مادة لغوية وجدت معارضين لها اعتبروا أن الترجمة عملية فذة لا يمكن

---

١٢ Georges MOUNIN : "Traduction", dans **la Linguistique,** p. 375 - 376.

١٣ Id. Ibid., p. 376.

١٤ Id. "Traduction", dans **Encyclopaedia Universalis,** p. 232.

١٥ Id., **Les Problèmes théoriques de la traduction,** p. 13.

١٦ المرجع نفسه ص 13.

حصرها في دائرة الالسنية[١٧]. على أنه مهما اختلفت الآراء في هذا الشأن يبقى أن الترجمة فنّ لكنّها فنّ قائم على علم، وهذا العلم لا يمكن توضيحه إلا في إطار الالسنية[١٨].

ب- المسائل العملية في الترجمة

أدّى التطور الذي شهدته حركة الترجمة، واتّساع ميادينها، وتشعّب العلوم العصرية التي تجري ترجمتها، واستقلال كلّ علم «بلغته» واصطلاحاته، إلى «خلق وضع لا تنفك مسألة التقابل Correspondance تثار فيه دون أن تتقدّم تقدماً ملموساً من الحلّ»[١٩]. ومن يودّ اليوم وضع نظرية في الترجمة عليه أن يعيد درس كلّ المسائل المعلقة، وهي المسائل التي تثيرها الترجمة السليمة. أما معيار الترجمة السليمة، فننقله عن ماروزو Marouzeau :

«يجب أن تنقل الترجمة المعنى، كلّ المعنى ولا شيء سوى معنى

---

١٧ لعل أبرز زعماء هذا التيار هو ادمون كاري.

١٨ Id., Ibid., p.p. 16 - 17.

١٩ Jules Marouzeau, "La traduction", p. 147.

النصّ الاصلي. إنه أمرٌ بديهيٌ، إنه المقتضى الادنى. لكن على الترجمة أن تنقل المظهر إيضاً. يجب أن تنقل إلى أقصى حدٍ ممكن المظهر البنيوي، أي أن عليها أن تتيح للقارىء تكوين فكرة تقريبية على الاقل عن اللغة المنقول منها، عن خصوصيات مفرداتها وبنائها وطريقتها في المطابقة بين العبارة والفكرة. ويجب أن تنقل المظهر الاسلوبي، أي النوعية والمستوى : شكل عادي، طريف، مهمل، وصفي، مبتذل، خطابي، فنّي، شاعري»[٢٠].

هذا المعيار يثير مسألتين رئيسيتين : مسألة الاصطلاحات ومسألة التركيب.

مسألة الاصطلاحات : ليست مسألة الاصطلاحات مما يختصّ بالترجمة وحدها. إنها مشكلة الواضع قبل أن تكون مشكلة المترجم. فقبل أن يقف المترجم حائراً في أي كلمةٍ يختار في مقابل هذا الاصطلاح الاجنبي أو ذاك، وقف المؤلف محتاراً في أي لفظٍ يختار للتعبير عن مدلول جديد لم يسبق إليه في ميدانه. وربما كان هذا الموقف الاخير من المواقف الشديدة الصعوبة والقليلة الحظ من الدراسة. وإذا كان للمترجم أن يستعين بسواه على اختيار

٢٠. Id., Ibid., p. 147.

المقابل المناسب استناداً إلى تحديد واضح للاصطلاح في لغته الاصلية، فإن الواضع لا ينطلق من تحديد بل من صورة ذهنية غير واضحة الحدود في معظم الاحيان.

لكن هذه الصعوبة التي يصادفها المترجم في إيجاد المقابل المناسب، أو الواضع في اختيار اللفظ المعبّر عن التصوّر الجديد القائم في ذهنه، لم تمنع النقاد من توجيه سهامهم، بحق تارةً وبغير حق طوراً، إلى هؤلاء الوضّاع والمترجمين. «يؤخذ على العلماء اصطناعهم ألفاظاً جديدة لا جدوى منها ويواجَهون بمفرداتٍ قائمةٍ يفترض أن تكون لها الدلالة نفسها. إن لهذا النقد ما يبرره في بعض الاحيان، لكن هذه الكلمات التي يحاولون فرضها على العلم هي في معظم الاحيان شديدة الإبهام أو شديدة الإيحاء»[٢١].

قلنا إنه كان نقداً بحق - ونتكلم على الإصطلاحات الالسنية لأن دراسة الترجمة هي، كما قدّمنا، دراسة ألسنية واصطلاحاتها بسبب ذلك اصطلاحات ألسنية - لان الالسنية حين تكوّنت احتاجت ككل علم جديد إلى

---

٢١ Charles BALLY : **Traité de Stylistique française,** I, 2ème Ed. s.d., p. 238.

اصطلاحاتٍ خاصةٍ بها «فاستحدثت كثيراً من الالفاظ وحوّلت كثيراً غيرها عن مفهومه القديم، فنتج عن ذلك تنوع شديد وتردّد عظيم من شأنهما أن يمنعا غير المطّلع من فهم العلماء، وأن يحولا أحياناً دون تفاهم العلماء فيما بينهم تفاهما صحيحاً»[٢٢].

وكان نقداً بغير حق حيناً آخر لانه لم يتتبّع تاريخ هذا العلم، بل لم يتتبع تاريخ أيّ علم. فلكل علم اصطلاحاته، وهي لا تتكوّن دفعة واحدة، بل تتحكّم في توالدها الكشوف، وتؤثر في تنوّعها كثرة الباحثين وتعدّد لغاتهم.

وقد تناول ماروزو Marouzeau هذه المسألة في مقدمة «معجم الاصطلاحات الالسنية»، الذي أصدره في باريس سنة ١٩٣٣، فأشار إلى محاولاتٍ لضبط الاصطلاحات، تحقيقاً لتكييف الدال على المدلول تكييفاً تاماً من جهة، ولخلق تطابق بين اصطلاحات البلدان المختلفة، بقدر ما يسمح بذلك اختلاف اللغات[٢٣]. ويرى ماروزو أن بالامكان تصوّر تدويل نسبيّ للاصطلاحات لان معظمها ذو أصل علمي ومنشأ يوناني - لاتيني[٢٤]، ولكن هذا

٢٢ Marouzeau : **Lexique de la terminologie linguistique,** p. 5.

٢٣ المرجع نفسه، ص 5.

٢٤ المرجع نفسه، ص 7-6.

الامر مرهون بالاتفاق على معنى كل اصطلاح قائم أو مقترح. والسؤال هو باسم ماذا نقرر أن هذه الكلمة تلائم هذا المفهوم ؟

هناك اتجاه يرى أن أهم ما يجب أن تتميّز به الاصطلاحات هو أن تكون معبّرة، أن تكون الكلمة تعريفاً للشيء، وأنه لذلك يجب إعطاء الكلمة معناها الاشتقاقي. فليس العلم، من بعض الوجوه، سوى اصطلاحاتٍ جيدة[٢٥].

ينتقد ماروزو هذا الاتجاه التبسيطي قائلاً إنه يتطلّب القيام بمراجعةٍ مسبقةٍ لمجمل المفاهيم اللغوية بغية تأليف نوع من النحو العام يدعى الى الاتفاق عليه عالميا وبصورة نهائية وهذه مهمة خيالية : أولاً لان الاشكال النحوية لا قيمة ذاتية لها بل تكتسب هذه القيمة من التضاد ضمن اللغة التي تستعملها، وثانياً لانه لو صحّ أن الكلمات يمكن أن تكون مطابقة للمفهوم فإن النظريات التي تثبّت المفاهيم معرضة للتطور[٢٦]، مما يعرّض الاصطلاحات إلى الهجر والاندثار.

---

٢٥ المرجع نفسه، ص 7.

٢٦ المرجع نفسه، ص 7.

ويستشهد ماروزو على ذلك بقول فندريس «ليس على الالسنيين أن يلتزموا في اصطلاحاتهم الدقّة التي تلتزم في اصطلاحات الفيزياء والكيمياء. فالمفردات اللغوية مطّاطة، وتحتمل قدراً من المقاربة»[٢٧]، ويقول ميليه Meillet «ليس على الكلمات أن تكون سوى علامات، وكلما كانت القيمة الخاصة لهذه العلامات أقل بُدُوّاً كانت الافكار أظهر صفاء»[٢٨]، ويقول سوسور Saussure إن المهم هو تعريف المفاهيم مهما كانت الكلمات المستخدمة عموماً لتعيينها «فكل تعريف للكلمة لا طائل تحته ؛ وإنه لمنهج سيء أن ننطلق من الكلمات في سبيل تحديد الاشياء»[٢٩]. ويقول يلمسليف Hjelmslev : «إن الاصطلاحات مسألة ذوق ولا صلة لها بالوقائع»[٣٠].

والواقع أن اختلاف النظر إلى مفهوم الاصطلاح يحكمه اختلاف النظر إلى اللغة ودلالة الالفاظ. فالإتجاه الداعي إلى وضع معجم دقيق ونهائي للالسنية ينطلق من مفهوم تقليدي للغة قوامه أن اللغة عبارة عن مدوّنةٍ تضم

---

٢٧ المرجع نفسه، ص 7.

٢٨ المرجع نفسه، ص 7.

٢٩ المرجع نفسه، ص 7.

٣٠ المرجع نفسه، ص 8 - 7.

عدداً من «الكلمات التي تقابل عدداً مماثلاً من الاشياء»[٣١]. ويستند هذا المفهوم إلى الفكرة التبسيطية القائلة بأن العالم برمّته منتظمٌ وفق أصنافٍ من الاشياء متميزةٍ تماماً، ولكل منها اسمٌ بالضرورة في كل لغة. وهذا الانتظام سابق للرؤية التي يملكها الناس للعالم»[٣٢]. أما الإتجاه الآخر، الذي اتخذ شكل النقد الموجّه إلى الإتجاه الاول، فانطلق من المفاهيم الالسنية. وهي مفاهيم غير متطابقةٍ تماماً ولكنها مجمعة على رفض المفهوم التقليدي. وبسبب هذا الإجماع من جهة وعدم التطابق من جهة ثانية، رفض ماروزو المفهوم التقليدي الذي يمثّله الاتجاه الاول، دون أن يتوصل بعد ذلك إلى موقف إيجابي، إلى حل، وهو على كل حال يدّعي ذلك.

بعد أكثر من أربعين عاماً على صدور معجم ماروزو أثار جورج مونان مسألة الاصطلاحات في مقالةٍ بعنوان : «مدخل إلى مسألة الاصطلاحات» صدّر بها مؤلفه «معجم الالسنية»[٣٣] وجعلها له بمثابة مقدمة. وقد استوعبت هذه

---

٣١ F. de Saussure, **Cours de linguistique générale,** Payot, Paris, 1979, p. 97.

٣٢ A. MARTINET : **Eléments de Linguistique Générale,** A.COLIN, Paris, 1978, p. 11.

٣٣ **Dictionnaire de la Linguistique,** P.U.F., Paris, 1974.

المقالة مقدمة ماروزو التي أشرنا إليها، وأعادت طرح الموضوع طرحاً يلائم الزمن الذي كتبت فيه. وقد دافع مونان، في مقدمة هذه المقالة، عن الالسنية، وبيّن أن معظم النقد يرتد على أصحابه، لكنه اعترف بوجود مسألة اصطلاحات. ويرى مونان أن هذه المسألة ليست جديدة، وأن التضخّم في الاصطلاحات ليس سمة هذا العصر وحصيلة ضعف الاستعداد، بل هو موضوع أساسي يطرح نفسه مجددا في كل عصر. ويعترف مونان بأن الاقبال الشديد على ترجمة المؤلفات الالسنية في هذا العصر قد أدى إلى بعض التساهل والتسرع في هذا المجال. فالمفردات المستحدثة نتيجة التسرّع وعدم الدقة وعدم الكفاية كثيرة. ويتحمل المؤلفون، ومنهم ياكوبسون وبنفنيست وتنيير ويلمسليف وبلومفيلد، قسطاً كبيراً من فوضى الاصطلاحات التي ساهموا فيها، وكانوا من ضحاياها، لان هذه الفوضى أثّرت سلباً على انتشار مذاهبهم، حين كانت هذه المذاهب عظيمة الفائدة. وهناك أسباب أخرى لهذه الفوضى منها لجوء العلوم الفقيرة بالاصطلاحات إلى العلوم الغنية لتستعير منها : هكذا امتلأت الألسنية بـ micro وmacro التي أتتها مباشرة من الكيمياء العضوية. ومنها التنافس شبه التجاري في الميدان العلمي الذي يولد عناوين جديدة لمفاهيم معروفة. ومنها نظرة بعض المؤلفين إلى الاصطلاح نفسه، وقد ذكرنا نماذج منها أثناء عرضنا لمقدمة ماروزو. ومنها أيضاً اكتشاف مسميات جديدة تتطلب أسماء

جديدة. ومنها أيضاً وجود «انعزالية قاريّة» : فأميركا تقرأ القليل من الآثار الالسنية الدولية. وهي وأوروبا لا تعرفان سوى القليل من الأبحاث الالسنية في اليابان. وهذا ما يجعل كل قارة تطور اصطلاحاتها بعيدة عن الأخرى. ومنها أخيراً اختلاف المدارس الالسنية بحيث إن كل مدرسة تنشئ لنفسها اصطلاحات خاصة ومفاهيم خاصة للاصطلاحات القائمة ... ويقرر جورج مونان «أن مسألة الاصطلاح هي في منطلقها مسألة متعلقة بالصحة العقلية والعلمية عند الفرد، وأنها مسألة متعلقة بالموقف العلومي épistémologique، وأنها جزء أساسي جداً من قواعد بناء المعرفة. لهذا لا تخضع لمرسوم تتخذه جماعة معينة مهما كان رسوخها في العلم والحكمة والنية الحسنة. إن حل هذه المسألة متعلق بالوضع العلمي لكل باحث بمفرده»[٣٤]. أما قواعد الصحة العلومية فيبدو أنها الآتية : أن يحدّد المؤلف اصطلاحاته بطريقة علمية دقيقة، وأن يحترم هذا التحديد خلال بحثه كله، وأن يتجنّب قدر الامكان وضع الاصطلاحات. هكذا نرى أن مونان لم يرسم حدوداً للاصطلاح الالسني بل اقترح قيوداً على وضع الاصطلاحات، قيوداً لا تكبّل الواضع ولا تنقص من حقه وحريته، بل تحفظ له حقّه الآخر، حقّه في قراءة كتابات سواه دون الوقوع في الالتباس وسوء الفهم. وليس من شأن

---

٣٤ Ibid., p. XIX.

هذه القيود أن تكون ضابطاً يمنع فوضى الاصطلاحات ولا ادّعى مونان أنها كذلك. فحل مسألة الاصطلاحات في نظره هو جماعي في النهاية لا في البداية.

تطرح ترجمة الاصطلاحات، فضلاً عمّا تقدّم، عدداً من المسائل منها ما يختص باللغة المنقول منها، ومنها ما يتعلق باللغة المنقول إليها، ومنها ما يرتبط بالمترجمين.

على صعيد اللغة المنقول منها : يختلف أمر الاصطلاحات بين أن تكون هذه اللغة قريبة من لغتنا - كأن تكون اللغتان منتميتين إلى مجموعة واحدة - أو بعيدة. وبين أن تكون اصطلاحات هذه اللغة أصيلة فيها، أي مبتدعة فيها وموضوعة بها ابتداء - أو مترجمة اليها باللفظ أو بالمعنى. وبين أن تكون هذه اللغة غنية بما ألف بها من أبحاث ألسنية وما وُضع بها أو تُرجم إليها من اصطلاحات - أو فقيرة، وبين أن تكون هذه اللغة منتشرة بين مثقفينا - أو غريبة عن أجوائنا، وبين أن تكون هذه اللغة مصدر الترجمة الوحيد إلى لساننا، على الأقل فيما يتعلق بـ الألسنية وحدها ـ أو رافداً من روافد كثيرة.

يختلف أمر الإصطلاحات بين أن نترجمها من لغةٍ ساميةٍ تشترك مع

العربية في بنائها واشتقاقها وتصريفها أو من لغة أوروبية، مثلا، يختلف بناء الكلمة فيها اختلافاً شديداً عنه في لغتنا. ويختلف الأمر كذلك بين أن نأخذ الاصطلاح من مصدره، ونعرف ظروف وضعه، ونستأنس بأصل لفظه، ونتحرّى عن مدلوله لدى واضعه، أو أن نأخذه من لغة غير لغته الابتدائية. فقد يستغلق علينا أصله، وتضيع منا فائدة البحث عن لفظه. ويختلف الأمر كذلك بين أن نترجم من اللغة اليابانية أو الروسية، مثلاً، وهما من اللغات التي نهضت بهذا العلم وأطلعت أعلاماً فيه مبدعين، فإذا وضعوا اصطلاحاً أو ترجموه أو اقتبسوه أسعفتهم لغتهم وساعدهم علمهم، أو أن نترجم من لغة فقيرة مترجرجة الاصطلاحات معدومة الانتاج المبدع. ويختلف الأمر بين أن نترجم من اليابانية أو نترجم من الفرنسية إلى العربية. فلو عرّب أحد لفظاً يابانياً لَمَا فهم كتّابنا وقراؤنا مدلوله، بينما يكون التعريب أوضح من الترجمة حين يكون مصدر الاصطلاح المعرَّب فرنسياً أو انكليزياً. فانتشار هاتين اللغتين في بلادنا، وغزارة الترجمة منهما، واطلاع الباحثين والقراء على الكثير من المؤلفات الالسنية الموضوعة بهما أو المترجمة منهما، يساعد كثيراً على فهم اصطلاحات هاتين اللغتين وحسن انتشارها. ويختلف الأمر أيضاً بين أن تكون الفرنسية، مثلاً، هي مصدر الترجمة الوحيد إلى لغتنا، أو أن تشاركها في ذلك سواها. فالترجمة من لغةٍ واحدةٍ تقلل من فوضى الاصطلاحات، لا سيما الاصطلاحات

المعربة بلفظها، إذ ينحصر هذا التعريب بمصدر واحد بدل أن يمتد إلى أكثر من مصدر، فيصبح لدينا أكثر من لفظ للمدلول الواحد.

على صعيد اللغة المنقول اليها : يختلف أمر الاصطلاحات تبعاً لما عرفته هذه اللغة من ترجمات اليها. فبقَدر ما يطول تاريخ الترجمة إلى هذه اللغة، تزداد هي خبرةً وغنىً، وتزداد عملية النقل سهولةً وانضباطاً. وبقدر ما تكون الفنون أو العلوم المترجمة متنوعة يزداد استعداد هذه اللغة لاستيعاب الجديد. وبقدر ما تكثر ترجمات علم من العلوم يزداد استعداد اللغة المنقول اليها لتقبل اصطلاحاته وهضمها واستيعابها. فكل لغةٍ تقترض من سواها، ولكن ذلك يختلف باختلاف العلاقات التي تربط بينهما. والمفردات التي تأخذها لغة عن أخرى هي غالباً ألفاظ لمعان أو أسماء لمسمياتٍ اشتهرت بها اللغة المنقول منها أو انفردت بها أو امتازت بإنتاجها. ولقد كانت علاقات العرب بالغرب مادية وثقافية، وكان اشتهار الغرب وامتيازه وانفراده ممتداً إلى كل شؤون الحضارة الحديثة، لهذا كان ما أخذناه وما نأخذه عن الغرب كثيراً. ولكن استعداد لغتنا العربية لتقبّل الاصطلاحات الغربية لم يكن في مطلع حركة الترجمة مثله اليوم. يؤكّد ذلك ما كتبه ابراهيم اليازجي، وهو من الذين عانوا كثيراً أمر الترجمة ووضعوا كثيراً من الاصطلاحات، في مجلته «الضياء» عام

١٩٠٠. قال :«إذا نظرت إلى حال الأمة العربية في هذا العهد، وما انتشر بينها من التمدن الغربي، وجدت أنها قد أفضت إلى حال انتقلت فيه عن أفقها الأول دفعة واحدة، وهجمت على تمدن فجائي قد نبت في غير أرضها، ونمى في غير جوّها، ولم يبلغ إليها إلا وهو على تمام أشدّه، وكمال كيانه ... وأصبح الكاتب منها مضطراً إلى وضع مئاتٍ بل آلافٍ من الأسماء التي لا يجد لها رديفاً في لسانه، ولا في وسعه نقل .تلك الألفاظ بصورتها إلى لغته لشدة التباين بين طبيعة هذه اللغة ولغات أولئك الأقوام، لأن الألفاظ فيها محصورة الأوضاع، محدودة الصيغ، لا تقبل الزيادة عليها إلا منها، ولا يمكن أن تُدَسّ اللفظة الأجنبية بينها إلا بعد أن تجانسها وتؤاخيها »(٣٥) .والواقع أن كلّ علم يبدأ عند أهله ويتطوّر، ولا تبدأ ترجمته إلا بعد اشتهار أمره، واشتداد كيانه، وتوطد الكثير من اصطلاحاته. ولا .تتبع الترجمة التدرّج الذي اتبعه التأليف، فهي لا تبدأ بأولى الكتب الصادرة في هذا العلم، بل تختار من المؤلفات ما تراه جديراً بالترجمة. والجدير بالترجمة من الكتب هو ما فاق سواه في بابه، فكان أعمق تحليلاً أو أشمل على الدقائق والجزئيات، أو متضمناً جديداً لم يسبق إليه. ومثل هذا الكتاب يكون أصعب على الترجمة، وأكثر تضمناً للاصطلاحات الجديدة.

لهذا تلازم فوضى الاصطلاحات ترجمة كل علم جديد. وتخلق هذه الفوضى حركة مضادة في اللغة، إذ ينهض العلماء والمجامع اللغوية للبحث واقتراح الألفاظ التي يرونها وافية بالقصد، صحيحة الاشتقاق. وتكون هذه الحركة بطيئة غالباً بالمقارنة بسرعة دخول الاصطلاحات الجديدة المترجمة أو المعرَّبة. ويتأخر العلماء والمجامع اللغوية عن المترجمين الروّاد فيستعينون بثمار جهودهم بدلاً من أن يتقدموهم ليسهّلوا عملهم، ويساعدوهم على تجاوز الصعوبات الكثيرة التي تصادفها ترجمة كل علم جديد.

ولكن جمع هذه الاصطلاحات من كتب المترجمين للإفادة منها يكشف عن مشكلة عسيرة. ففي مقابل الاصطلاح الاجنبي استخدمت هذه الكتب مفردات جديدة عربية أو معرّبة، ولكنها مختلفة إلى حد كاد كل مترجم يستقل باصطلاحاته.

ففي مقابل المصطلح Linguistique نجد كلمة علم اللغة، وعلم الالسن، ولسانيات، وألسنية، الخ ...

وفي مقابل المصطلح Sémiologie نجد كلمة سيمياء، ورموزية، وعلم الرموز اللغوية، وسيميولوجيا.

وفي مقابل المصطلح Signe نجد كلمة علامة، واشارة، واشارة هادفة، ورمز.

وفي مقابل المصطلح Morphologie نجد كلمة علم الصرف، علم البنية، علم الاشكال، مورفولوجيا.
وفي مقابل المصطلح Morphème نجد كلمة مستفرد، وكليمة، وأداة، وأداة ارتباط، ودال النسبة، ومونيم، ومرفيم، ومورفيم.

هذا هو أمر الاصطلاحات المستخدمة التي لم تتعدّد ترجماتها وحسب، بل تعددت صور تعريبها أيضاً، فقد عُرِّبتْ كلمة morphème كما رأينا بصورتين **مرفيم ومورفيم**، ولكنها قد تعرب بثلاث صور، كما هي حال كلمة **monème** التي نجدها بصورة منيم، ومونيم وبصورة ثالثة هي **مونام**.

نجد، إلى جانب هذا التضارب في ترجمة الاصطلاح الالسني وتعريبه، تضارباً أشد خطراً على الالسنية، وأدعى إلى الالتباس وسوء الفهم، ألا وهو تضارب مفاهيم الاصطلاح الواحد في اللغة الاجنبية نفسها، وقد رأينا في تعريف كلمة morphème أن تأويل هذا التصور يختلف باختلاف المدارس. ولكن تعدد مفاهيم الاصطلاح قد يعود إلى احتفاظه بدلالته النحوية القديمة إلى جانب دلالته الالسنية الجديدة، وإذ ذاك يجب ترجمته بأكثر من مقابل واحد تبعاً لدلالته. فكلمة discours ترادف كلمة parole حيناً، وترادف كلمة énoncé

حيناً آخر. وقد زاد بنفنيست على ذلك دلالة ثالثة حين ضاد بين السرد اللاشخصي والحديث الشفوي أو الخطي الذي يقوم الفاعل فيه بدور المتكلم موجهاً كلامه إلى مخاطَب ومنظِّماً هذا الكلام وفق أساليب المخاطبة. هذه المفاهيم الثلاثة التي تعبّر عنها كلمة discours يمكن للمترجم أن يعبّر عنها بثلاث كلمات : فيترجم المفهوم الأول بلفظة كلام، وعلى هذا يترجم Parties du discours بعبارة أقسام الكلام، ويترجم المفهوم الثاني بلفظة قول أو مقال، أما المفهوم الثالث، فيترجمه بلفظة خطاب وهي مصدر خاطب (جاء في المعجم الوسيط : خاطبه مخاطبة وخطاباً : كالمه وحادثه. ووجه إليه كلاماً) هكذا يصبح لكلمة discours ثلاث ترجماتٍ تعبّر عن مدلولاتها الثلاثة، ولا تعتبر هذه ترجمات متعددة أو متضاربة.

بقيت كلمة أخيرة في موضوع الاصطلاحات، وهي أن تتبّعي لتطوّر مسألة الاصطلاح في الفرنسية وفي العربية، فضلاً عن دراستي لمسائل الاصطلاحات في عصر النهضة، أقنعاني بأن اختيار الاصطلاح يحمل في الأصل الكثير من الاعتباط، وأن المفردات التي تعيش ليست بالضرورة هي المفردات الأكثر انطباقاً على معجم العربية، والأشد تقيُّدا بأقيستها. وأننا حين نعرّب الكلمة بلفظها نيسّر على أنفسنا مشقة البحث عن المقابل المناسب، ولكننا نقدّم

للقارئ العربي كلمةً لا يفهم شيئاً من أصلها ومن دلالتها، وإن شاعت هذه الكلمة وأصبحت مادة من مواد المعجم كسائر المواد الأصيلة. من هنا نتبيّن أن العودة إلى المعاجم العربية، والاستعانة بها على وضع الاصطلاحات، أمرٌ ضروريٌ ومرغوبٌ فيه. لكنّ التشديد على شرطٍ واحدٍ من شروط وضع الاصطلاح أمرٌ غير سليم، لأن الاصطلاح الجيّد يلزمه أن يكون له أصلٌ في اللغة، ولكن يلزمه أيضاً أن يكون مألوفاً أو مشتقاً من لفظ مألوف، وأن يراعى فيه الذوق والسهولة. وكثيراً ما تقدم لنا العربية، بسبب كثرة مرادفاتها، موادّ متعددة لتكون أصلاً لغوياً للاصطلاح الجيد، ومن شأن ذلك أن يؤدي الى تعدّد الاصطلاح المترجم دونما مبرر. فمن أجل ترجمة كلمة Signe يقدم لنا معجم العربية كلمات : علامة، إشارة، سمة، سومة، سيمة، سيما، سيماء، سيمياء، إيماء، رمز، الخ ... وتتساوى هذه الكلمات، ومن حيث الدلالة اللغوية فأيّ واحدة تختار في مقابل الكلمة الأجنبية، فإنك تصدر عن اعتباط. أما البحث في بطون المعجمات القديمة الموسّعة عن الفروق القديمة بين معاني هذه الألفاظ، فلا معنى له على هذا الصعيد، لأن القارئ لن يدرك إلا ما تقدمه له نصوص العصر، ومعجمات العصر، ولن يعود الى «لسان العرب»، و«تاج العروس». إن الاصطلاح رمزٌ، وبامكاننا أن نرمز الى التصور الذي نريد التعبير عنه بالرقم، أو بالحرف، أو بالكلمة، أو بالعبارة. الاصطلاح هو التعارف على الشيء،

والاتفاق عليه. فلنتفق على ما وضعنا إلى اليوم في ميدان الالسنية من كلمات لكي تصبح لدينا اصطلاحات ألسنية.

مسألة التركيب : تثير مسألة التركيب، على الصعيد العملي ، جملة من الأسئلة : هل يجب أن نترجم، وكيف نترجم، ولماذا نترجم، الجملة كوحدةٍ لا تقبل التجزئة، أي ككلمة مركبة واحدة ؟ هل يجب أن تحافظ الترجمة على مظهر الجملة الأصلية، البنيوي والاسلوبي، وكيف تحافظ عليه، ولماذا تحافظ عليه ؟ هل تكون الترجمة كاملة إنْ نقلت المعنى والمظهر الأصلي، وضحّت بتراكيب اللغة المنقول اليها ؟ هل تكون الترجمة كاملة إن نقلت المعنى بتراكيب اللغة المنقول اليها ، وضحّت بالمظهر الأصلي ؟ هل يمكن الملاءمة بين تراكيب لغتين كالعربية والفرنسية ؟ إلامَ يصبو المترجم : أإلى تقديم صورة صحيحة عن النص الأجنبي أم إلى خلق أثر كتابي في لغته، يضاف إلى آثارها ، ويمتاز بمضمونه الدلالي الأجنبي ؟

ليس هنا موضع الجواب، فهذا يحتاج إلى بحث مستقل. إن الترجمة عملية اتصال غايتها نقل رسالة من مُرسِل إلى مُتَلق أو مستقبل récepteur. لكنّ هذه العملية لا تسير في اتجاه واحد، إنها حركة مزدوجة : فمن جهة أولى،

تصل الينا كل رسالة أفقر مما يريد مرسلها، وأبعد عن الشكل الذي قصده في الأصل. ومن جهة أخرى، تساعد معرفة المتلقي أو المستقبِل بالمواقف وتقديراته للقيمة الدلالية للكلمة داخل الجملة، على تعويض ما يمكن تعويضه من هذا النقص. هكذا يسير الكاتب والقارئ كل في اتجاه الآخرليلتقيا في مكان قد يكون في الوسط أو أقرب الى القارئ أو إلى الكاتب، وكلما كانت نقطة الالتقاء أبعد عن موقع الكاتب كان جهده في توضيح قصده وتوصيل رسالته أبين وأشد. وعلى العكس كلما قربت هذه النقطة من موقعه، ظهرت له غاية أو غايات أخرى سوى التوصيل العادي. فقد يكون النص لغزاً يطلب الكاتب حلاً له، أو قصيدة يريد الشاعر أن ينقلنا الى جوها لا أن ينقل الينا معنى أبياتها، أو تعريضاً وغمزاً يرغب صاحبه في الاحتفاظ بسره. ولا تخرج هذه الكتابات وأشباهها عن غاية الاتصال، ولكنها تنفرد داخل هذا الاتصال. إنها اتصالٌ من نمط خاص.

ليست غاية المترجم أن يحقّق الاتصال بين النص الاصلي واللغة التي ينقل اليها، بل غايته أن يحقق هذا الاتصال بين النص الأجنبي وقارئ الترجمة. لهذا يمكننا أن نلوم خليل مطران، مثلاً، حين استخدم في ترجماته لمسرحيات شكسبير ألفاظاً عربية غير متداولة في زمنه، وإن كانت من الناحية المعجمية

صحيحة جداً.

هكذا يمكننا أن نقرر أن المترجم «لا يترجم للفهم بل للإفهام». وليس ضياع المعاني مما يقتصر على الترجمة، فهو يرافق الاتصال في كلّ أحواله : عند محاولة نقل الفكرة من أسلوب الى آخر داخل اللغة الواحدة، كما عند محاولة الفرد التعبير عما يجول في خاطره. فإذا كان هذا ما يحدث ضمن لغة واحدة وفرد واحد، فكيف لا يحدث عند الترجمة من لغة إلى أخرى، لا سيما إذا اختلفت اللغتان في الانتماء الحضاري، وفي النظام التركيبي والصرفي والنحوي، كما هي الحال بين العربية والفرنسية.

إن الترجمة اتصالٌ. والرسالة التي يهدف المترجم الى توصيلها تتألف من معنىً ومبنىً، وعليه أن ينقل المعنى كما هو وأن ينقل المبنى الى ما يساويه في لغته لا إلى ما يشابهه. وتتطلب ترجمة المبنى التقيد بتراكيب اللغة المنقول اليها، شرط اختيار الأسلوب الذي يلائم النص. وهذا الأسلوب واحد في اللغات. فنترجم النصّ العلمي بأسلوب علمي والنص الأدبي بأسلوب أدبي على غرار الأصل. ذلك أن غاية الأسلوب في الترجمة هي أن يعبّر عن روح النص، وهذا هو مدار التنافس بين الترجمات، وهو الذي يبرر غالباً وجود عدة ترجمات

للكتاب الواحد رغم سهولة معانيه : على سبيل المثال الترجمات الأربع لكتاب النبي لجبران خليل جبران، والترجمات المتعددة لمسرحيات شكسبير، وراسين، وكورناي. وهو أيضاً ما يفسر لماذا يحس المترجمون برغبة دائمة في إعادة ما ترجمه سواهم، وخصوصاً في إعادة ما ترجموه بأنفسهم.

تختلف صعوبة ترجمة التراكيب باختلاف الفن أو العلم الذي ينتسب اليه النص. وتختلف ضمن الفن الواحد باختلاف أساليب الكتّاب الأصليين، واختلاف مستوى النص، واختلاف خبرة اللغة المنقول اليها بترجمة هذا الفن، طولاً واتساعاً. وتملك اللغة العربية خبرة واسعة بترجمة الآداب والعلوم. تمتد إلى أكثر من قرن، وتتركز في مصدرين هما الفرنسية والانكليزية. وقد تطوّرت أساليب العربية وتراكيبها اللغوية بتأثير هذه الترجمة، بحيث اقتربت كثيراً في هذا العصر من أساليب اللغتين المذكورتين. لهذا أصبح الكلام على التراكيب العربية القادرة على استيعاب النص الأصلي ينصرف إلى هذه التراكيب الحديثة، لا إلى ما حفظته لنا كتب الأدب القديم من نماذج.

ولكنّ هذا التطور والتأثير لم يخرجا بالعربية عن معاييرها الأسلوبية الأساسية، ولم يقرّباها من الفرنسية إلا بمقدار ما تسمح به الأصول، وفي المجالات التي تطلبت ترجمتها بإصرار مثل هذا التطوير.